المحاضرة 05:

الحضارة الإغريقية

01ـ الموقع الجغرافي: أول ما يطالعنا إلى بلاد اليونان هو أن طبيعتها الجغرافية ليست امتدادا سهليا منبسطا كما هو الحال في مصر أو في الجزء الأكبر من بلاد الرافدين. وإنما نجد بلاد اليونان ذات طبيعة وعرة في عمومها. فالجبال تشغل الجزء الأكبر من سطحها، على هيئة سلاسل جبلية تقسمها إلى مناطق صغيرة تكاد تكون منعزلة عن بعضها.

و إغريقية أو بلاد اليونان و يسمّيها أهلها "هللاس" هي شبه جزيرة من طرف أوروبا الجنوبية تتبعها جزر كيكلادس، و أسبورادس، و جزر بحر اليونان، وأرض هذه البلاد مجدبة قاحلة تغطيها جبال شامخة تتخللها أودية ضيقة، وسهول صغيرة. أما جوها فشديد الحر في الصيف، وقارس في الشتاء، ينمو في أرضها شجيرات ذات شوك لا تحتاج إلى الري إلاّ قليلا، وفي الأودية أشجار التين و اللوز و الزيتون، و ينمو الغار حيث تكثر المياه. وبسبب وقوعها بين أوروبا، وآسيا، و أفريقية فقد كانت أولى البلدان في جني ثمار الحضارة الشرقية. وكان المصريون و الفينيقيون يعرفون اغريقية منذ زمن بعيد، وساهموا في وضع بعض القوانين و الشرائع، وعلّموا أهلها كثيرا من الفنون و الصناعات. وكانت أغريقية واسطة في إدخال الحضارة الشرقية إلى أوروبا.

وممّا ساعد أغريقية على تقدمها و رقيّها طول سواحلها، وكثرة تعاريجها وخلجانها، وهذا ما جعلها في قديم الزمان دولة بحرية تجارية.

02ـ أصل الإغريق: يعود أصل الإغريق إلى سلالة الأريين من بني يافُث الذين ن زحوا من آسيا الصغرى، إمّا عن طريق بحر الأرخبيل أو عن طريق البوسفور من الشمال، و أولى القبائل التي انتقلت إليها البيلاجيون ثم اليوليون و الأخائيون و اليونيون، وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد الدوريون، واندمجت هذه القبائل مع بعضها لتشكل قسمين: اليونيين و الدوريين أطلق عليهما فيما بعد الهيلينيين.

03ـ العصور اليونانية :

يمكن تقسيم التاريخ اليوناني (الإغريقي) إلى العصور الآتية:

أ ـ عهد الملوك (1100ـ 750 ق م): و هو العهد الذي نشأت فيه الحضارة الإغريقية، بعد القضاء على الحضارة الإيجية. فقد استقرت القبائل في قرى، و أخذت في الزراعة، ثم تطورت القرى إلى مدن، و نشأت عن المدن الدويلات المدن. و التي كانت كل منها مملكة مستقلة لها نظامها وقوانينها، وجيشها، و آلهتها. ولها ملكها يساعده في تسيير شؤون الحكم مجلس شورى. وبلغ عدد دويلات المدن في بلاد الإغريق المئات. وكان ملوك هذه الدويلات من قادتهم في الحروب و زعمائهم الدّينيّين. وانطلاقا من التراث الذي ورثوه عن الإيجيين، و تأثرهم بحضارات الشرق ولاسيما حضارة مصر، وبلاد الرافدين، و حضارة الفينيقيين ساروا نحو النضج و التطور الحضاري. إلاّ أن ما يميّز هذا العهد هو كثرة الحروب التي سجّلتها الأشعار الغنائية الحافلة بتاريخ و أعمال الأبطال. فكانت الملاحم مثل أشعار " هوميروس" هي أقدم آداب الإغريق. نذكر منها " الإلياذة " و" الأوديسة" وكانت بمثابة الكتاب المقدس عند الإغريق. و إلى جانب القيمة الأدبية، و الفنية و التاريخية لهذه الأشعار فإنها تزوّدنا بمعلومات عن الديانة الإغريقية، بما تحمله من أخبار الآلهة، و أوصافها، و أعمالها.

ب ـ عهد النبلاء (750 ـ 625 ق م): تجمعت الثروة ولكية الأراضي في هذا العهد بيد طبقة من النبلاء، و أمراء الإقطاع. وبلغ هؤلاء النبلاء قدرا من القوة مكّنهم من إسقاط نظام

الحكم من الملكية إلى نظام إقطاعي يظهر فيه التمايز بوضوح بين طبقتي الإقطاعيين و طبقة الفلاحين الذين اصطبغت حياتهم بالبؤس و الشقاء. وهو ما أدى إلى هجرة الفلاحين وغيرهم من الفقراء و المظلومين . فنشأت مستعمرات إغريقية في أراضي الزرع في الدانوب الأسفل، وفي قبرص، وفي صقلية، وجنوب إيطاليا. وهو ما عُرف ببلاد الإغريق الكبرى. وقد تميزت الحضارة الإغريقية في هذا العهد بالتجارة البحرية، و بناء السفن، كما نشأت بعض الصناعات، وكانت الثروة بالدرجة الأولى ثروة زراعية.

ج ـ عهد الطغاة (625 ـ 525 ق م): لقد كان لاتساع المستعمرات الإغريقية، وكذا ازدهار التجارة و الصناعة أثرا في حياة اليونان، فقد تم القضاء على نظام النبلاء المعتمد على الثروة الزراعية و الحيوانية. وحلّ محلّه نظام الطغاة أصحاب الثروة الجديدة الناتجة عن التجارة و الصناعة. وكان الحكام فيه من الغاصبين و المستبدّين، و أشتهر منهم في أثينا أعلام مشهورون مثل "دريكو" و" صولون". وعرفت الحضارة الإغريقية في هذا العهد بداية القوانين و الشرائع. وكان أول قانون مدون هو قانون " دريكو". كما أصدر"صولون" دستورا للدولة. وقد تخلى صولون عن الحكم لما اتُّهم بميله لأن يكون طاغية . و خلفه في الحكم "فيسترانوس" بالقوة وهو على رأس جيش من المرتزقة. وازدهرت في عهده التجارة و الصناعة في أثينا. وانتهى عهد الطغاة في أثينا باغتيال الطاغية " هبارخوس". وحل بذلك حكم الشعب أي الديموقراطية.

د ـ عهد الديمقراطية (525 ـ 400 ق م)

بدأ عهد الديمقراطية من اغتيال آخر طاغية في أثينا حوالي 525 ق م، وقد كان الازدهار التجاري، و الاقتصادي في عهد الطغاة مقدمة لعهد الديمقراطية. وقد شمل هذا العهد مجموعة من الأحداث المهمة في تاريخ الحضارة اليونانية أبرزها:

ـ انتقال أثينا وهي أهم دولة إغريقية إلى نظام الحكم الديمقراطي.

ـ الحروب بين اليونان و الفرس.

ـ الحرب بين أثينا و أسبارطة أهم دول الإغريق.

واشتهرت عدة شخصيات في عهد الديمقراطية مثل: "كليستينيس" و "ثيمستوكليس"، وبلغت الديمقراطية في عهد "بريقلس" أنضج مرحلة في تاريخ الإغريق. وقد رسمت أثينا سبيلا جديدا لسير المجتمعات الإغريقية. فأشركت طبقات جديدة من المجتمع اليوناني في الحياة السياسية بعدما كانت في طبقة ضيقة من النبلاء، و الملاّك. وازدهر فيها الاقتصاد، و الزراعة، ودعّم استغلالها للنقود تجارتها الخارجية. وساهم هذا الازدهار الاقتصادي في ارتقاء أثينا بالحضارة الإغريقية في القرن الخامس في مختلف الميادين العلمية من فن وفلسفة، وعمران وعلوم. ولكن ازدهار، و رقي أثينا صاحبته علاقات متوترة مع بقية الدويلات الإغريقية التي لم تكن على نفس النضج، و التطور الحضاري في أثينا وهو ما أشعل الحرب بينها. ولعل أبرز تلك الحروب كانت بين أثينا و أسبارطة.

04 ـ مظاهر الحضارة الإغريقية:

خلّفت الحضارة الإغريقية للبشرية تراثا حضاريا في مختلف الميادين العلمية، و الأدبية، و الفنية. وسنتوقف عند بعض ملامح هذا التراث على النحو الآتي:

1ـ الفكر السياسي: ويجب التفريق في البداية بين النظام السياسي و الفكر السياسي، فالنظام السياسي هو النظام القائم في المجتمع بكل مؤسساته التي تسير أمور المجتمع في هيئة مجالس تشريعية أو تنفيذية، وما يتبعها من قوانين تحدّد الحقوق و الواجبات. أما الفكر السياسي فهو الفكر الذي يتعرض للنظام السياسي، اتفاقا أو اختلافا معه. ولقد تميّز اليونان عن غيرهم من الشعوب من حيث الفكر السياسي الذي خلفه المجتمع اليوناني. ولقد أدى اختلاف، و تنوع أنظمة الحكم التي شهدتها المدن الإغريقية في عصورها المختلفة، وكذا الاتصال التجاري بين الحضارات المحيطة باليونان إلى التأثير في الفكر السياسي عند

اليونان، وأخذ اليوناني يقارن بين هذه الأنظمة، وهكذا تهيّأت الظروف لنضج الفكر السياسي عند اليونان وكان أساسه البحث في التوازن بين الفرد و الدولة.

2ـ الدين: تشبه ديانة الإغريق ديانات الحضارات القديمة في الشرق كحضارات العراق و مصر، فهي ديانة وثنية مبنية على الشرك و تعدد الآلهة، وينسب الإغريق إلى آلهتهم صفات البشر في شكلهم و عواطفهم و حياتهم. وكان في معتقد اليونان أن الآلهة تسكن في جبل " الأولمبوس" و اختصّ كل إله بظاهرة طبيعية أو بامر خاص من الامور، فكان الإله "زوس" أبا الآلهة. و الإله" بوزيدون" إله البحر. و " أبولو" إله الشمس. و "أفروديت" إلهة الحب.وتهتم الآلهة بشؤون الأفراد الذين يقدمون الخضوع و القرابين. ولأن الآلهة اليونانية تتميّز بالقوة. و البطش فقد كان على البشر السعي للحصول على مرضاتها.

3ـ المسرح: تعود أصول المسرح اليوناني إلى الاحتفالات الدينية التي تدور حول عقيدة الإله " ديونيسوس" أو "باخوس" وهو إله الحصاد و الثمار والكروم كمظهر للإبتهاج و الشكر للآلهة التي تتحكّم في الطبيعة. وكانت العروض التي تقدم في هذه الاحتفالات مقدمة للمسرح اليوناني فقد انبثقت عنها التراجيديا أو المأساة لتصبح لونا فنّيا قائما بذاته. وكانت المسرحية التراجيدية في بدايتها بسيطة موضوعها مرتبط بالإله " ديونيسوس"، ولكنها ابتداء من أوائل القرن الخامس شهدت تطورا في الشكل، و المضمون، و الآداء. و الفضل في هذا التطور يعود لثلاثة شعراء أثينيين هم: " إيسخيلوس" و "سوفوكليس" و"يورويبيديس". واتخذت التراجيديا مسارها بعيدا عن أساطير "ديونيسوس". ثم ظهرت مسرحيات أخرى كالمسرحية الكوميدية و التي تهتم بطرح المشاكل العامة و اليومية للمجتمع اليوناني بنوع من السخرية.

4ـ العمارة: لم تعرف اليونان في عصورها القديمة تخطيط المدن فكان الأمر عشوائيا. ولم تتخذ المدن شكلا هندسيا منتظما لكنها كانت ذات أسوار قوية. وتطور البناء في القرن السادس ق م إلى استخدام الكتل الحجرية المنتظمة. وتعد الأعمدة أبرز ملامح عمارة المعابد في اليونان مع الابتعاد عن كثرة التفاصيل. أما المباني العامة فقد كان معظمها مستطيل

الشكل. وبعضها دائري. وأهم أمثلة البناء الدائري المسارح التي كان يتسع بعضها لحوالي 30 ألف شخص و أهمها مسرح ابيداوروس و مسرح أفسوس.

05 ـ النحت: لقد ضاعت و اندثرت الكثير من التماثيل الإغريقية، ولكن يمكن تمييز أهم ملامح النحت اليوناني من خلال ما بقي صامدا على مرّ الزمن، سواء في ذلك النحت البارز على واجهات المعابد، أو النحت المجسّد و التماثيل. ويمكن القول أنّ صفة العري، أو التماثيل العارية كانت أهمّ مايمّز الفنّ اليوناني دون غيره من حضارات الشرق القديم. وكان هذا في الواقع انعكاسا للعادات اليونانية حين كان المتبارون في الألعاب يقومون بمبارياتهم في حالة عري، كما تميّز النحت بالتعبير الصريح عن الواقع دون تجميل، أو إخفاء كالتماثيل التي تجسّد بعض نواحي الانحراف الأخلاقي في المجتمع اليوناني قديما، من ذلك تمثال الإله زيوس كبير الآلهة اليونان، و الذي اشتهر بنزواته، وقد حمل الصبي جانيميديس .

06 ـ الأدب: ظلت قصة انتصار الإغريق على طروادة في ذاكرة خيال المنتصرين و في أفكارهم زمنا طويلا. فأنشأ شعراؤهم الأغاني الشعرية لتخليد أعمال أبطالهم. فكانت تُنشد في قاعات الملوك و النبلاء. وعلى الرغم من أن الكتابة لم تكن معروفة عند الإغريق فإنّهم توارثوها جيلا عن جيل بالرواية. وكان كل جيل يضيف إليها أحداثا، و قصصا جديدة. فتحورت الحقائق الأصلية. واكتسبت هذه القصص مظاهر خارقة للعادة و فوق أعمال البشر. فقد دخلت فيها أعمال الآلهة و القوى فوق الطبيعة. و أخذت الآلهة تطغى شيئا فشيئا على قصص الأبطال و الملاحم. وهكذا نشأت مجموعة من أشعار الملاحم ما بين 1000ق.م و 700ق.م تدور على تأريخ اليونان القديم و على علاقة الآلهة بشؤون البشر و تأثيرها فيها. ومن الملاحم المشتقة من حروب طروادة " الإلياذة" و " الأوديسة " لهوميروس. وقد عدّها الإغريق الذين عاشوا فيما بين 700ـ 400 ق.م سجلاّ مهمّا عما كان يعتقده أجدادهم. فكانت لهم بمثابة الكتابات الدينية عند اليهود. وكانت قوة تلك الملاحم تكمن في

سحر شعرها و خيالها، وفي أدبها الرفيع الذي أسر ألباب الإغريق. فكانت الأشعار الهومرية تراثا عاما لجميع الإغريق. . وكان الشعر عند الإغريق نوعا من الموسيقى لأنه كان يُغنى به على الدوام. و قد اشتهر من شعراء الشعر الغنائي جماعات نشأ أكثرهم في جزر بحر إيجة ومنهم " أليكوس" في حدود 600 ق. م والذي نظم في مواضيع مختلفة في الحب، و الحرب، و الأسفار. و اشتهر في الشعر اليوناني نوع خُصص للتغني و الإشادة بالرياضيين المنتصرين في المنافسات و الألعاب الرياضية و لاسيما الألعاب الأولمبية. وقد نظم كثير من الشعراء اليونان الأغاني لتمجيد المنتصرين كالشاعر "بندار".

وعن الأشعار الغنائية نشأت التراجيديا عند اليونان. وكانت تُغنّى في مناسبات دينيّة أشهرها أعياد خاصة بالآلهة مثل الإله " ديونيسوس" . وتروي قصص أبطال الأساطير، وتُشيد بقوى الآلهة. و أشهر شعراء التراجيدي عند اليونان: " إيسكيلوس" (525 ـ 455 ق.م) و "سوفوكليس " (496 ـ 406 ق.م) صاحب رواية "الملك أوديب". و " يوريبيدز" (480 ـ 406 ق.م).

كما عرف اليونان الكوميديا والتي نشأت بعد التراجيديا. وهي روايات فقدت جميع العناصر الدينية فيها، و أصبحت روايات انتقادية، هزلية، للتسلية و المتعة.

7 ـ العلوم و الفلسفة: لقد كان الإغريق الأقدمون يصفون الظواهر الطبيعية بلغة الأساطير، وكانوا يرجعون جميع ما يحدث في الكون إلى الآلهة. وقد عاش في مدينة " مليطس" جماعة من المفكرين أولهم " طاليس" الذي اهتمّ بالبحث في المادة، و في جوهر الأشياء. ورأى طاليس في عنصر الماء المادة الأولى . ولكن نظرية العنصر الواحد هذه فنّدها " أمبيدوقلس" الذي قال بنظرية العناصر الأربعة: أي التراب و الهواء و النار و الماء لتفسير الظواهر الطبيعية المختلفة. و رأى بأن هذه العناصر غير مشتقة ، أي بسيطة، لا تفنى و لا تتغيّر من حيث الكيف، ولكن لها قابلية الانقسام الميكانيكي. وقد نشأ عن هذه النظرية مع مرور الزمن النظرية الذرية. التي قال بها بعض فلاسفة الإغريق مثل " لوسيبوس" و "

ديموقريطس". و أساسها الاعتقاد بوجود عدد غير محدود من الجزيئات غير المرئية تسمى ذرات تتحرك في فراغ غير محدود. وتتّحد هذه الذرات لتكوين الأجسام و الأشياء الموجودة في الكون.

ولقد استفاد الإغريق كثيرا من المعارف و المعلومات التي وصلت إليها حضارات الشرق القديم و لاسيما حضارة وادي الرّافدين و وادي النيل. فمن المرجّح أن اليونان وقفوا على تراث البابليين في الجبر. ولكن ما يقال عن الرياضيات عند اليونان هو اهتمامهم بالشكل (الهندسة) دون العدد بخلاف الرياضيات في وادي الرافدين. فالحضارة اليونانية لم تهتم بالجبر إلاّ في القرن الثالث للميلاد على يد بعض رياضيي اليونان مثل " ديوفانتوس".

أما الفلسفة أو "حب الحكمة" عند مفكري اليونان فقد شمل البحث في الظواهر الطبيعية و الذي ندخله في العصر الحديث في دائرة العلم. وكذا البحث في القضايا الخاصة بأصل الحياة و معناها، وهي القضايا التي كان أول من عني بها جماعة من المفكرين عرفوا بالسفسطائيين. وكان مفهوم الفلسفة لدى اليونان جهودا جدية من جانب المفكرين لفهم العالم، و الإنسان، وهدفها الأساسي اكتشاف الطريق الصحيح في العيش و الحياة.

ويمكن تقسيم تأريخ الفلسفة اليونانية إلى ثلاثة عصور متميّزة يتجلى فيها تدرج الفكر اليوناني:

أـ الطور الأول: ويتضمن تأريخ المفكرين اليونان قبل سقراط. واهتم المفكرون في هذا الطور بالكون، والنظر في الطبيعة، ومسائلها. و الفلك، و الجغرافية. ومن أهم القضايا التي شغلت فكرهم مادة الأشياء الأولى، أو جوهرها الذي تتألف منه جميع الأشياء و من الفلاسفة الذين شغلتهم هذه القضية: " طاليس"(585 ـ 550 ق.م) و " انكسمينيس " (590 ـ 500 ق.م) و " انكسيمندر" (610 ـ 545 ق.م)، و " فيثاغورس" (570 ـ 500 ق.م).

ب ـ الطور الثاني: وفيه بدأ الفكر اليوناني يتحول إلى البحث في الإنسان نفسه، وصارت أعمال الإنسان موضوع البحث. فاتّجه البحث إلى قوى الإنسان الباطنية كالفكر و الإرادة. وظهرت القضايا الأخلاقية، و المنطقية و النفسية. وصارت أثينا في هذا العهد مركز الفلسفة الإغريقية .

ج ـ الطور الثالث: يعد الطورين الأولين من تأريخ الفلسفة اليونانية مقدمة لأعظم رقي حدث للفكر اليوناني. وظهر هذا الرقي في الطور الثالث. وهو عصر البحث المنظم في عهد سقراط و أفلاطون، و أرسطو. فقد اتسع البحث فشمل قضايا النفس، و الطبيعة، واستفاد عظماء هذا الطور من المعارف التي وصل إليها من سبقهم. وامتاز بحثهم بالمنهج العلمي. ويُعدّ أرسطو خاتمة نضج الفلسفة اليونانية و فاتحة عصر العلوم التي تميّزت و تفرّعت حيث تخصّص كلّ علم منها لبحث خاص مما لم يعرفه اليونان في عصورهم الأولى بل كانت موضوعات العلوم ممتزجة بعضها في بعض.

08 ـ الألعاب: تعد مدينة أولمبيا، وبرزخ كورنثوس أهم مراكز اجتماع الإغريق في مواسم ألعابهم، فقد كان من العادات القديمة إحياء ذكر بعض الأحداث العظيمة، و الأعياد الدينية بالتمارين الرياضية، و الرقص، والعدو، و العراك. وهذا أمر شائع في الحضارات القديمة.

و أقدم الإحتفالات اليونانية للألعاب هي التي أقيمت تمجيدا لزفس بأولمبيا غير أن الفوز الأول الذي سجّل للاعبين لم يكن إلاّ في سنة 776 ق.م. وقد اتُّخذ بداية لتأريخ جملة من الحوادث اليونانية الشهيرة. وبعد هذا التاريخ صار هيكل زفس في أولمبيا مكانا يحجّ إليه الإغريق كل أربع سنوات. ومن أهم مظاهر تلك الألعاب العدو و المصارعة أو المعاركة، والملاكمة، وسباق الخيل و العربات التي تجرها أربعة من الجياد، و هذا النوع الأخير كان أكثر الألعاب شهرة.